(240) أخبر ا تعالى بهذه الاية عن هؤلاء الكفار الذين سألوا الايات وعلم من حالهم أنهم لايؤمنون ولو فعل بهم مافعل حتى لو أنزل عليهم الملائكة وكلمهم الموتى بأن يحييهم ا حتى يكلموهم، وحشر عليهم كل شئ قبلا، على المعنى الذي فسرناه من ظهور خرق العادة فيه والمعجزة الباهرة فيه لم يؤمنوا لشدة عنادهم وعتوهم في كفرهم. ثم قال " الان يشاء ا " ومعناه احد أمرين: أحدهما - قال الحسن: إلاأن يشاء ا أن يجبرهم على الايمان بأن يمنعهم من اضداد الايمان كلها منهم الايمان. الثاني - قال أبوعلي الجبائي: الا ان يشاء ا ان يلجئهم بأن يخلق فيهم العلم الضروري بانهم ان راموا خلافه منعوا منه كما ان الانسان ملجأالى ترك قتل بعض الملوك بمثل هذاالعلم. وانما قلنا: ذلك، لان ا تعالى قد شاء منهم الايمان على وجه الاختيار، لانه أمرهم به وكلفهم اياه، وذلك لا يتم إلا بأن يشاء منهم الايمان، ولو أراد ا من الكفار الكفر للزم أن يكونوا مطيعين اذا كفروا، لان الطاعة هي فعل ماأريد من المكلف. وللزم أيضا أن يصح أن يأمرهم. ولجاز ان يأمرنا بأن نريد منهم الكفر كما أراد هو تعالى وفي الاية دلالة على ان ارادة ا محدثة، لان الاستثناء يدل على ذلك لانها لوكانت قديمة لم يجز هذا الاستثناء، كمالايجوز ان يقول القائل: لايدخل زيد الدار الا أن يقدر ا أو الا ان يعلم ا لحصول هذه الصفات فيمالم يزل. وقوله " ولكن اكثرهم يجهلون " انما وصف أكثرهم بالجهل مع أن الجهل يعمهم لان المعنى يجهلون انه لو أوتوا بكل آية ماآمنوا طوعا. وفي الاية دلالة على انه لو علم ا انه لو فعل بهم من الايات ما اقترحوها لامنوا أنه كان يفعل ذلك بهم وأنه يجب في حكمته ذلك، لانه لو لم يجب ذلك لما كان لهذا الاحتجاج معنى. وتعليله بأنه انما لم يظهر هذه الايات لعلمه بأنه لو